رأي القدس

الاردن والموقف المتعنت من «حماس»

■ يحرص المسؤولون الاردنيون على التأكيد في كل مناسبة ممكنة على عدم وجود اي ترتيبات للقاءات مع ممثلين لحركة المقاومة الاسلامية «حماس» في الاردن او خارجه، وكان آخر هؤلاء السيد ناصر جودة الناطق باسم الحكومة.

هذا الموقف الاردني الرسمي المتصلب من حركة «حماس» يبدو غير مفهوم، علاوة على كونه يتناقض مع التقاليد السياسية الاردنية المتبعة التي يغلب عليها التعقل والمرونة، وبدء صفحات جديدة مع كل الجهات، مهما كانت مواقفها العدائية تجاه البلد.

حركة «حماس» لم تقد حركة انقلاب عسكري ضد الحكومة الاردنية، ولم تنخرط في حرب اهلية، والاهم من ذلك انها ظلت دائما حليفة للنظام الاردني، حتى وقع الخلاف الاخير، الذي ادى الى ابعاد الحركة وقادتها من الاردن، ومنع عودتهم، وهو خلاف كان من الممكن التعامل معه بطريقة اكثر حضارية، ومحاصرة اضراره في حدودها الدنيا، ولكن الحكومة الاردنية في ذلك الوقت، تصرفت بطريقة متسرعة، وعجزت عن ادارة الازمة بفاعلية وتبصر.

حركة «حماس» اكتسبت شرعية صلبة بفوزها المفاجئ في انتخابات المجلس التشريعي الاخيرة، وحظيت باعتراف عربي ودولي واسع. وجرى استقبال رسمي حافل لوفودها في مختلف انحاء الوطن العربي، وبعض دول العالم الاسلامي، خاصة ايران وتركيا، والدولة الوحيدة التي اغلقت الباب في وجهها هي الاردن دون اي سبب منطقي.

هناك حالة ارتباك في اوساط المسؤولين الاردنيين على كافة المستويات حول كيفية التعامل مع هذه المسألة المحرجة، ويبدو ان الناصحين العقلاء قد اختفوا من البلد، واصبح «العناد» هو سيد الموقف.

العناد ربما يكون مبررا عندما يكون متعلقا بصاحبه، وتنحصر اضراره في مصالحه الشخصية، ولكنه في حال الدول يبدو خطيئة، وقصر نظر، ففي علم السياسة لا يوجد شيء اسمه عناد او كرامة شخصية، وانما مصالح اوطان وشعوب.

المسؤولون الاردنيون يسربون تبريرات لموقفهم المتعنت هذا بالقول ان السيد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي للحركة يحمل جواز سفر اردنيا، الامر الذي يتعارض مع القانون الاردني الذي يحظر على المواطنين تزعم حركات غير اردنية.

هذا الموقف يبدو غير مقنع على الاطلاق، لان الحكومة الاردنية اعادت الجنسية للسيد نايف حواتمة رغم تزعمه لفصيل فلسطيني مثله مثل تنظيم «حماس». والاهم من هذا وذاك ان نصف وزراء الحكومة الاردنية، ونسبة كبيرة من المسؤولين فيها يحملون جنسيات دول اجنبية بريطانية، وامريكية على وجه الخصوص.

الاردن يستقبل وفودا اسرائيلية واجنبية من كل دول العالم، فهل من المنطقي ان يقفل ابوابه امام وفد من حركة «حماس» التي كان هذا البلد الحاضن الرئيسي لها ولقياداتها، واستقبل زعيمها الشيخ احمد ياسين بعد خروجه من سجنه بضغوط اردنية؟

نطرح هذا السؤال على النخبة الاردنية الحاكمة لعلها تتبصر خطأ موقفها هذا.

الفئات الحاكمة وحركات المقاومة: بين توازن القوى وتوازن الإرادات

د. عصام نعمان *

■ عوامل متعددة أسهمت على مرّ التاريخ في نشوء الدول وتطورها وبناء العلاقات في ما بينها. لعل ابرز هذه العوامل توازن القوى دائماً وتوازن الإرادات أحياناً.

المقصود بتوازن القوى نزوع كل قوة (دولة) إلى التفوق على منافسيها ببناء نسبة اكبر من القدرات، وببناء تحالفات بين قوى متجانسة في المصالح والتطلعات للتعادل مع قوة أو تحالف قوى منافسة أو للتفوق عليها.

المقصود بتوازن الإرادات نزوع قائد أو مجموعة من القادة داخل قوة (دولة أو حركة ثورية) إلى تعويض النقص في القدرات المادية بالإصرار على إطالة أمد الصراع وتوظيف اكبر مقادير ممكنة من الإمكانات البشرية والمعنوية لإرهاق قوة منافسة على مدى زمني طويل نسبيا من أجل كسر إرادة قائدها أو قادتها والتغلّب عليها أو إكراهها على التراجع.

ثمة حضور لعنصر الإرادة والمعنويات في توازن القوى، وحضور لعنصر القدرات المادية في توازن الإرادات. إلا أن السمة البارزة في كل منهما هو غلبة القدرات المادية على بقية العناصر في توازن القوى، وغلبة قوة الإرادات والمعنويات على بقية العناصر في توازن الإرادات.

لعل أبرز مثال على توازن القوى وتوازن الإرادات حرب فيتنام في منتصف القرن الماضي. فقد دارت الحرب بين قوة عظيمة القدرة المادية والعسكرية هي الولايات المتحدة وقوة صلبة الإرادة وغزيرة المعنويات هي ثوار الفياتكونغ. ومع ذلك تمكّن الثوار، من خلال التصميم الصارم على القتال والتعبئة المعنوية العالية وإستخراج نتائج سياسية من الصراع (إندلاع جدل حار داخل المجتمع الأمريكي حول جدوى الحرب) من كسر إرادة العدو وحمله على التراجع والإنسحاب.

ما قامت وتقوم به منظمات المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق يحاكي ما قام به ثوار فيتنام، غير انه لا يصل على صعيد النتائج السياسية إلى ما توصل إليه أولئك الثوار قبل نصف قرن.

ثمة أسباب عدّة لهذا التفاوت في الإنجاز مردّها إلى عوامل موضوعية وأخرى ذاتية. على الصعيد الموضوعي، نقع على توافر مواقع وموارد ومصالح إستراتيجية ضخمة وكثيفة للدول الكبرى في المنطقة العربية، إستوجبت حضوراً عسكريا وسياسياً دائماً وبالتالي إستنزافاً متواصلاً للقدرات السياسية والإقتصادية لبلدان المنطقة وشعوبها. وعلى الصعيد الذاتي، نقع على توافر إنحطاط وإحباط وقصور مزمن في الذات العربية أبطأت إنبعاث قوى التمرد والتقدم والنهضة، فضلاً عن إتصاف هذه القوى عموماً بقلة الصبر والنفس القصير والخلافات المتناسلة.

لهذه الأسباب ولغيرها جاء التغيّر وأحياناً التطور في منطقتنا نتيجة التبدل في توازن القوى بين الدول المتنافسة والمتنازعة والمتصارعة على مواقعها الإستراتيجية (المضائق) وعلى مواردنا الطبيعية (النفط والغاز) وعلى أسواقنا المتوسعة، أكثر مما كان نتيجة إسهامنا الذاتي في عملية النهوض والتطور والتقدم الحضاري. أكثر من ذلك : بلغ إرتهاننا لتوازن القوى الخارجية ومحدودية إعتمادنا تفعيل الإرادات وتوازنها إننا ما زلنا نعاني تداعيات سقوط السلطنة العثمانية منذ 1918، وتقاسم ميراثها بين الدول الكبرى، ونزوع هذه الدول في الوقت الحاضر إلى تجاوز واقع التجزئة الناجم عن إتفاقية سايكس – بيكو إلى محاولة تفكيك الدول الناتجة منه إلى كيانات صغرى، إستنسابية أو طائفية أو قبلية أو إثنية. أليس هذا ما يحدث اليوم في فلسطين والعراق ولبنان؟

لا نقع عندنا في مواجهة هذا الخطر التفتيتي الزاحف على ردة فعل صحية وإستنهاضية وتعبوية نوعية. فحركات المقاومة القومية محدودة الفعالية، وحركات المقاومة الإسلامية أكثر فعالية، لكنها تعاني من «منافسة» الحركات المتطرفة وعنفها الأعمى من جهة وإضطرارها إلى الإنشغال بقضايا الحكم والتعاطي السياسي مع الدول الغازية من جهة أخرى. على ان المشكلة الأخطر تتجسد في الفئات الحاكمة بوجوه ثلاثة. الأول، قصورها في وعي التحديات المستجدة رغم جنوح الولايات المتحدة إلى نقد أدائها وحتى الإنفتاح على معارضيها في سياق تشجيع قوى سياسية أقل محافظةً والتعاون معها. الثاني، وهو نتيجة الوجه الأول، مثابرة الفئات الحاكمة على إعتبار المعارضة في الداخل تهديدا ونقيضا لها أكثر عداوةً من أمريكا وأوروبا وبالتالي الإستمرار في محاربة المعارضة وقمعها. الثالث، وهو نتيجة الوجهين الأول والثاني، إخفاق الفئات الحاكمة في الدول المنتجة للنفط في إدراك معاني القوة والإقتدار الناتجة عن ازدياد عائداتها المالية بعد الإرتفاع الكبير في أسعار النفط والغاز، وإمتناعها تاليا عن توظيف هذه القدرات المالية في مشروعات إقتصادية وسياسية على الصعيدين العربي والإسلامي من اجل الإسهام في مواجهة الهجمة الأمريكية الصهيونية أو لدعم، على الأقل، حركات المقاومة الميدانية والمدنية (السياسية) لقوى الغزو الخارجي المتواصل.

إن قصور الفئات الحاكمة على النحو المتقدم ذكره يطرح إشكالية تنطوي على مفارقة مضحكة مبكية. ذلك ان إمتناع هذه الفئات عن التطور والتطوير الذاتي مع غياب ضغط فاعل عليها داخل أقطارها من طرف القوى الوطنية والإسلامية الديمقراطية قد يؤدي إلى تشجيع الولايات المتحدة على دعم بعض قوى المعارضة المعتدلة أو الإسلامية والتعاون معها كبديل من الفئات الحاكمة والمعارضة الديمقراطية الإصلاحية أو على حسابها. أليست مفارقة مضحكة مبكية إحتمال إضطرار قوى المعارضة الديمقراطية، إزاء إمتناع الفئات الحاكمة عن الإنفتاح عليها أو إزاء إمتناعها عن التطور والتطوير، إلى الرهان على الولايات المتحدة كقوة ضغط على الفئات الحاكمة من اجل الإنفتاح على قوى التغيير والإصلاح ؟ أليس مضحكا مبكيا أن تصبح الولايات المتحدة خصماً وحكماً في آن ؟!

إن إستمرار الفئات الحاكمة في نهجها التقليدي الركودي الراهن وخوفها المقيم من الولايات المتحدة من جهة، وإمتناع حركات المقاومة والقوى الديمقراطية الإصلاحية عن الضغط عليها لتعديل سلوكيتها من جهة أخرى يشكّل وبالا وقيداً على الأمة في حاضرها ومستقبلها ولا يجوز السكوت عنه. من هنا تنبع الحاجة الملحة إلى ضرورة حمل الطرفين، الحاكمين والمعارضين، على تغيير موقفهما بإتجاه إعتماد نهج مغاير وموقف فاعل حيال الولايات المتحدة وبقية الدول الكبرى يخدم مصالح الأمة وتطلعات شعوبها في شتى أقطارها، لاسيما حيال التحديات والأخطار حيث هي على أشدها، أي في فلسطين والعراق ولبنان وسورية.

في مجال تلبية هذه الحاجة الملحة، ثمة نهج داخلي ممكن إعتماده وموقف خارجي ممكن إتخاذه. أما النهج فهو العمل المباشر للضغط على الفئات الحاكمة بكل الوسائل المشروعة وحسبما تسمح به أو تتيحه ظروف الأقطار المعنية. أما الموقف فهو عدم الإنزلاق إلى معارضة إمتلاك إيران قدرات نووية تمكّنها من التحول قوةً إقليمية مركزية، بل النظر إلى هذه القضية من منظور إستراتيجي إسلامي كون هذه القوة البازغة ستكون بالضرورة رافداً للأمة ومصالحها وتطلعاتها في وجه قوى الهيمنة الدولية. ألم يعترف جورج بوش في خطبة «حال الاتحاد» أمام الكونغرس الأمريكي أواخر كانون الثاني (يناير) الماضي ان الولايات المتحدة هي في حالة حرب مع «الإسلام الراديكالي»؟ وما الإسلام الراديكالي؟ أليس هو، في نهاية المطاف، المصطلح السياسي الذي تستخدمه إدارة بوش لتوصيف المنطقة العربية بدولها وشعوبها؟

بإعتماد هذا النهج وإتخاذ هذا الموقف، تُسهم القوى الحية في الأمة، حاكمين ومعارضين ومقاومين، في تكوين توازن جديد للإرادات وتغليبه على التوازن الراهن للقوى.

* كاتب وسياسي من لبنان

تدمير مسجد سامراء: الاسباب والنتائج

د. سعيد الشهابي *

■ أهو «بروفة» لتدمير المسجد الأقصى؟ ربما.. أهو محاولة لصرف الانظار عن الرسوم المسيئة لرسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام؟ ليس مستبعدا. أهو عمل يهدف لتوفير ذريعة البقاء للقوات التي تحتل العراق؟ تفسير معقول. أهو عملية نوعية من تخطيط وتنفيذ بقايا النظام السابق في اطار العمل لزيادة تأزيم الوضع ومنع التقارب السياسي بين ابناء الطائفتين المسلمتين الكبريين؟ أمر منطقي. أم انه تنفيذ عملي لتهديدات الزرقاوي بالحرب ضد المسلمين الشيعة؟ قد يكون الامر كذلك. ان أيا من هذه التفسيرات ليس مستبعدا تماما، فكلها منطقية تجد لها مصاديق واقعية في بلد تعددت فيه الفرق اللاعبة، ولم يغب عنه الا منطق العقل والحكمة. فما الذي يمثله صرح تاريخي حضاري لأي من الاطراف المذكورة من قيمة عسكرية؟ مع ذلك فقيمته الروحية لدى قطاع واسع من ابناء العراق هي التي جعلته هدفا للذين ارتكبوا جريمة التفجير. ولا شك ان الذين قاموا بذلك كانوا يدركون تبعاتها، ويعلمون انها ستكون واحدة من أخطر القضايا، وانها سوف تؤدي الى ما أدت اليه من اضعاف الصف الوطني العراقي، وأثارت شبح حرب أهلية تعمل أطراف عديدة لاشعالها. فلم يعد سرا القول بان هذه الاطراف تسعى لاثارة الفتنة بين ابناء الوطن والواحد، وتسعى لمنع التآلف او التحالف في ما بينهم، لان وحدة الشعب العراقي بمثابة الصخرة التي تتحطم عليها آمال الطامعين والكائدين لهذا البلد العربي المسلم العملاق. ونظرا لحساسية القضية وتعقيداتها، يمكن القول باستحالة القبض على منفذي جريمة الاربعاء 22 شباط (فبراير) 2006، التي استهدفت أكبر قبة ذهبية في العراق، وحولت البناء الذي يحملها الى ركام، تلك القبة تضم رفاة امامين من ائمة المسلمين، علي بن محمد الهادي ونجله، الحسن بن علي العسكري، عليهما السلام، وهما من سلالة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

الضريح الكبير شهد مراحل عديدة من التطوير منذ ان بناه ناصر الدولة الحمداني في العام 333 من الهجرة. فقد أدخل الامير أرسلان في العام 444 من الهجرة فن التذهيب عليه. وساهم خلفاء عباسيون في صيانة مبنى الحرم. فقام الناصر العباسي بتجديد القبة والمآذن في العام 606 هجرية، وأجرى المستنصر اصلاحات واسعة في مبنى الضريح بعد الحريق الذي حدث فيه في العام 640 هجرية. وتواصلت اعمال الاصلاح والتجديد عبر العصور. وبالتالي فالحرم لم يكن خاصا بفئة دون أخرى، بل كان صرحا اسلاميا شامخا، وجامعا تقام فيه الصلاة وتدرس فيه علوم الاسلام. فهو، على أقل تقدير، قطعة أثرية معمارية تستحق التخليد لانه جزء من تراث العراق والاسلام، وقد اعتادت الامم الاهتمام بتراثها والانفاق عليه لابقائه شاهدا على حضاراتها. فاهرامات الجيزة تحكي تاريخ الفراعنة وما تزال موضع دراسة العلماء والباحثين الذين يسعون للتعرف على حضارة الماضي من أجل بناء حضارة اليوم والغد. والمعالم الاثرية في البلدان الاخرى تحظى برعاية خاصة من السلطات في تلك البلدان. وفي العقود الاخيرة ازداد الوعي الانساني باهمية التراث التاريخي باعتباره ليس ملكا لقوم بعينهم بل للبشرية كلها، فدخلت اليونيسكو على الخط وقامت بتسجيل آثار العالم وأضفت عليها أهمية تمنع الآخرين من الاضرار بها. فهي آثار محمية لا يجوز المساس بها بأي شكل او في أي حال. اما القيمة الدينية لضريح سامراء فتنطلق من كونه قبرا لامامين مقدسين لدى طائفة كبيرة من المسلمين، فهو بالتالي رمز مرتبط بعقيدتهم، ويعتبر التعرض اليه اعتداء على تلك العقائد. فماذا سيكون رد المسلمين فيما لو تعرض بيت الله الحرام، لا سمح الله، لاعتداء من أحد؟ وماذا سيكون الموقف لو تعرض قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتفجير او اضرار، مهما كانت الدوافع والاسباب؟ فاذا كان العالم الاسلامي قد هب من أقصاه الى أقصاه، للاحتجاج ضد الاساءة لرسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، فماذا سيكون رد فعله لو تعرض قبره لاعتداء مماثل؟

في العام 1992 قام المتطرفون الهندوس في الهند بهدم المسجد البابري في مدينة أيوديا، بحجة انه اقيم على أنقاض معبد للاله «راما». وكان ذلك المسجد قد بني في عهد الملك المسلم بابور في القرن السادس عشر، وقيل ان قائد قواته، مير باقي، قام بهدم معبد هندوسي يمثل مكان ولادة الاله «راما» وضج العالم من تلك الجريمة التي ما تزال ذيولها مستمرة حتى اليوم. وقد اعتبر ذلك العمل اجراما وعدوانا لانه أثار مشاعر المسلمين في انحاء العالم، وسقط عشرات القتلى من المسلمين الهنود في الاحتجاجات التالية. وعندما قامت حكومة طالبان الافغانية قبل خمسة اعوام بتدمير تمثالين لبوذا في مدينة باميان، ضج العالم بسبب ذلك، واعتبر ذلك العمل استفزازا لمشاعر البوذيين الذين يقدسون ذلك التمثال. وسعت منظمة المؤتمر الاسلامي لمنع ذلك العمل بارسال وفد الى قندهار، معقل الملا عمر، زعيم الحركة، لاقناعه بالعدول عن قرار التدمير، ولكن بدون جدوى. وتجدر الاشارة الى ان الاسلام أمر أتباعه بالمحافظة على دور العبادة التابعة للديانات الاخرى. وثمة رواية مشهورة بان الخليفة عمر بن الخطاب رفض الصلاة في كنيسة القيامة قائلا ان صلاته فيها قد يتخذها البعض لاحقا ذريعة للمطالبة بأرض الكنيسة، وفضل الصلاة في الفضاء خارج الكنيسة، وقد بني في تلك البقعة «مسجد عمر» ولم يطالب أحد بالكنيسة التي بقيت حتى اليوم، يؤمها المسيحيون للصلاة بدون مضايقة من أحد. يقابل ذلك تحويل جامع قرطبة الشهير الى كنيسة بعد احتلاله من قبل المسيحيين في 1236، وهو أمر أثار حفيظة المسلمين وأدى الى تشوش معماري واضح، بين الجامع التاريخي المبني على الطراز الاسلامي المتميز، والكنيسة المحاطة بمعمار من غير التراث الذي تنتمي اليه.

ولعل الحادثة الاخطر والاقرب الى الاذهان جريمة حرق المسجد الاقصى في 1969 على ايدي مجموعة من المحتلين الصهاينة. ففي 21 آب (أغسطس) من ذلك العام تم اضرام حريق في جانب من المسجد أتى على منبره وجزء كبير من رواقه، وكاد يحول المسجد المقدس الى ركام. وقد احتجت 24 دولة مسلمة لدى الامم المتحدة وعقد اجتماع خاص لمجلس الامن بعد اسبوع من وقوع الجريمة واصدر قراره رقم 271 للعام 1969 الذي طالب قوات الاحتلال الاسرائيلية بالحفاظ على سلامة الاماكن المقدسة، والتوقف عن انتهاك حرماتها. يومها قال السفير الاردني، محمد الفرا، امام الامم المتحدة: «اليوم، أقف مع 24 عضوا آخرين، ممثلين لـ 750 مليون مسلم، مطالبين باجتماع للنظر في مأساة أخرى، وهي المسجد الأقصى والحريق الذي أحدث أضرارا بليغة بذلك المكان التاريخي». لم يحترق الاقصى في تلك الجريمة، ولكن تدميره ما يزال هدفا اسرائيليا ينتظر اللحظة المناسبة للتنفيذ. ومن المؤكد ان استمرار انتهاك مقدسات الاسلام، سواء في وسائل الاعلام الغربية كقضية الرسوم المسيئة لنبي الاسلام عليه افضل الصلاة والسلام، ام تدمير المساجد التاريخية مثل ضريح الامامين الهادي والعسكري بمدينة سامراء، يوفر سوابق تمهد لتدمير الأقصى. فاذا صمت المسلمون على هذه الجرائم، فسوف يكون ذلك محفزا لقوات الاحتلال الاسرائيلية لتدمير الأقصى بوسائلها الخاصة.

ان دقة جريمة تدمير مسجد سامراء تشير الى احتمالات عديدة، ويترك المجال مفتوحا للتخرصات والتكهنات، كما أسلفنا. فهناك أطراف عديدة تستفيد من خلط الاوراق بالشكل الذي حدث. وفي غياب المعلومات حول مرتكبي الجريمة التي ارتكبت بدقة كبيرة، يبقى المجال مفتوحا للشكوك والتخرصات. فبالامكان اتهام جماعة الزرقاوي، وبقايا النظام السابق، كما يمكن اتهام الامريكيين والاسرائيليين. فاذا كانت دوافع الطرفين الاولين معروفة، فان للامريكيين مصلحة في ما حدث، باضعاف هيبة الحكومة التي يترأسها الدكتور ابراهيم الجعفري الذي تسعى واشنطن لمنع اعادته الى رئاسة الوزراء لأسباب سياسية وايديولوجية. اما الاسرائيليون، فهم أكبر المستفيدين مما جرى. فابقاء العراق منقسما على نفسه سوف يؤدي الى اضعافه، وهو هدف استراتيجي للكيان الاسرائيلي، واشعال فتنة طائفية في العراق سوف ينعكس سلبا على المقاومة في الارض المحتلة التي تعاونت اطراف شيعية وسنية لتقويتها خلال العقدين الاخيرين، كما يساهم في تفتيت العراق وتمزيقه، ويفتح المجال للتغلغل الصهيوني في سياساته واجهزته الامنية. بالاضافة الى ذلك، فان استمرار التوتر وتصاعد الاحتراب الداخلي يصرف الانظار عن السياسات الاسرائيلية، التي تحتاج الى اجواء جديدة لمواجهات شديدة مع الفلسطينيين على خلفية فوز منظمة «حماس» واحتمالات تشكيلها اول حكومة فلسطينية يهيمن عليها ليس التيار الاسلامي فحسب، بل التيار الاسلامي القريب من ايران وحزب الله، وهو أمر له أبعاده الاستراتيجية الخطيرة في المعيار الاسرائيلي. ان خلق فتنة من النوع الذي كاد يحدث في الايام الاخيرة أمر أصبح أكثر الحاحا في الوقت الحاضر. وثمة عوامل أخرى ترجح نظرية تورط اطراف خارجية في ما جرى، منها التفجيرات الاخيرة التي حدثت في ايران، وآخرها الاعمال الارهابية والتفجيرات التي حدثت هذا الاسبوع في مدن دزفول وعبادان، وقبلها في الاهواز، وهي المناطق الاقرب للعراق. هذه التفجيرات، هي الاخرى، يمكن طرح عدة تكهنات لتحديد مرتكبيها، نظرا لتقاطع مصالح عدد من الاطراف ازاءها.

الصراع على العراق اليوم ليس بين الشيعة والسنة، كما يعتقد البعض، وكما يبدو من ظاهر الوقائع اليومية، بل بين دعاة العراق الموحد العربي الاسلامي القادر على ترجيح كفة الصراع المتواصل بين الامة الاسلامية التي تهم بالنهوض والاطراف الطامعة في خيراتها والمعادية لقيمها وعقيدتها وحضارتها، وهو صراع له مصاديقه الكثيرة ومن بينها الحملات الاعلامية المتعددة الاطراف ضد هذه الامة وما تمثله من قيم ومعتقدات، والأمنية التي تستهدف وجودها وتسعى لاحتواء تمددها الجغرافي والسياسي، وتهدف لتفتيت أمنها ونخرها من الداخل بخلق النزاعات بين مكوناتها لأسباب وذرائع تافهة، والفكرية التي تسعى للنيل من مقدساتها بكافة الاساليب وتحت عناوين جوفاء لا يحترمها المتشدقون بها. أبناء العراق لم يعرفوا بنزعاتهم الطائفية، واذا كانت ثمة اعتداءات على العتبات المقدسة في السابق فقد كانت على ايدي الغزاة من الخارج، كما فعل المغول عندما استباحوا بغداد، وكما فعل الوهابيون عندما هدموا قبور الامام الحسين عليه السلام في كربلاء في العام 1801. وتشهد قبور الأئمة والعلماء المقدسون لدى الشيعة والسنة وتلاصقها الجغرافي على التداخل الديني والفكري بين العراقيين عبر العصور. ولذلك جاءت دعوة المرجعية الدينية في النجف الاشرف بتحريم الاعتداء على المساجد وأضرحة أئمة المذاهب الاسلامية مثل الامام أبي حنيفة وعبد القادر الجيلاني، لتأكيد الموقف الديني الذي يدعو الى تعايش المتباينين في بعض شؤون العقيدة، على أسس من السلام والاحترام المتبادل. فالمساجد بيوت الله، ولا فرق بين مسجد سني او شيعي، فكلها أقيمت لعبادة الله وحده دون غيره، ولا يحق لأحد الاعتداء عليها بأية ذريعة. وقد كان لموقف علماء المسلمين عامة بشجب واستنكار الاعتداء على حرم الامامين بسامراء، أثره في تأكيد حرمة الاعتداء على مقدسات المسلمين.

نقول ان الصراع على العراق يتجاوز الاختلافات المذهبية، ويتصل بالصراعات خارج حدوده، وهي صراعات اقليمية تارة، ودولية اخرى. وليس من مصلحة المهتمين بشؤون الأمة تحديد المواقف على اسس الاستقطاب الطائفي او العرقي، فذلك لا يخدم مصلحة العراق ولا الأمة، بل يوفر الأرضية للمزيد من الاعتداء على مقدساتها من قبل أعدائها، ويطيل أمد الاحتلال الانجلو ـ أمريكي. ان من مصلحة العراق والعراقيين نبذ الاختلافات العرقية والمذهبية، واقامة نظامهم السياسي على اساس صناديق الاقتراع، وعلى ارضية من التوافق والتفاهم، والسعي جميعا لانهاء الاحتلال الذي أثبتت الوقائع انه سبب رئيسي للتوتر وتوسع دائرة الارهاب وتمزيق النسيج الاجتماعي بين ابناء هذا البلد. وهذا لا يتحقق الا بتحكيم لغة الحوار والعقل والتخلي عن العنف الطائفي، والتركيز على بناء العراق ديمقراطيا باستعادة السيادة وقطع الطريق على الاحتلال.

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

أطوار بهجت

محمد كريشان

■ لن توجد المفردات التي تعبر بصدق عن مدى خسة ونذالة أولئك المجرمين الذين خطفوا أطوار بهجت وزميليها من بين الجموع وقتلهم ورمي جثثهم وقد نخرتها رصاصات الغدر طولا وعرضا. لا أحد يستطيع أن يتخيل حتى في أكثر سيناريوهات الرعب قذارة أن يقدم رجل مهما كان دينه ومذهبه أن يتعامل مع شابة جميلة وبشوشة ومسالمة وعزلاء بهذه الوحشية التي يستحيل استساغتها من أشد الأعداء شراسة وحقدا فكيف يمكن أن تقبل من أبناء جلدتك ودينك، فلا أبسط قيم الإنسانية التي تجمعنا ـ مهما تعددت مللنا ومشاربنا ـ تسمح ولا رباط الدم والعقيدة يغفر.

لقد قتلت أطوار لذاتها، كما قال أحدهم ، أي أنها على عكس كثيرين من زملائها لم تلق مصرعها في قصف أو تبادل نيران أو عند حاجز تفتيش بل إن من جاء يسأل عنها قصدها هي بالذات مع أن لا شيء على الإطلاق، على الإطلاق، يمكن أن يبرر المس بشعرة منها سواء تعلق الأمر بتقارير صحافية أرسلتها أو آراء عبرت عنها أو محطة كانت تعمل بها أو أخرى التحقت بها، فضلا عن أن الاعتبارات الإنسانية الدنيا ما كانت لتجعل شخصا سويا يقدم على تصفيتها بهذا الانحطاط فقد كان يمكن أن يكون خطفها وتهديدها «رادعا كافيا» حتى وإن كنا لا نقر ذلك أيضا لكنه يبقى بما لا يقارن أفضل من قتل آنسة لم تسئ لأحد وكانت العائل الوحيد لأمها وأختها بعد ما رحل الوالد.

حين تقدمت أطوار للعمل في المكتب الجديد لقناة «الجزيرة» في بغداد بعد سقوطها، وكان ذلك في نهاية ايار (مايو) بداية حزيران (يونيو) 2003، شاءت الصدف أن أكون بصحبة الزميل تيسير علوني من أوائل من التقى بها وشجعها فقد لمسنا فيها عاطفة جياشة وحبا جارفا للمهنة التي عرفتها أولا في الصحافة المكتوبة قبل التلفزيون العراقي. وبسرعة كبيرة فرضت أطوار نفسها خاصة وأنها لم تكن تتعامل مع مخاطر التغطيات الإخبارية اليومية الدامية في العراق من منطلق أنها فتاة بل كانت دوما أول من يرغب في الذهاب إلى أرض الحدث عند كل تفجير أو اشتباكات وأذكر جيدا كيف جاءتني ذات يوم من أيام حصار الفلوجة الأولى في نيسان (أبريل) 2004، وكنت وقتها في بغداد ثانية، وهي غاضبة متأففة من أن وضاح خنفر و كان حينها مديرا لمكتب بغداد لم يبعثها لتغطية التطورات الملتهبة هناك وفضل عليها زملاء آخرين من الذكور وعبثا حاولت تهدئتها من أن وراء ذلك خوفا عليها وليس تشكيكا في كفاءتها.

لهذا تحديدا لم تطق أطوار صبرا بعد أن أغلق مكتب بغداد في آب (أغسطس) 2004 فلم تستطع أن تتأقلم لا مع عمل غرفة الأخبار في الدوحة ولا مع بعض التغطيات الخاصة في عمان والقاهرة. كانت تعشق العراق الذي جعلت خارطته قلادة في رقبتها لذلك عادت إليه بنهم شديد تبحث عن الأحداث المشتعلة وكأنها فراشة لا تكترث من الاقتراب من ضوء سيحرقها بالتأكيد بل لعلها ظنت أن براءتها ووسامتها وعلاقتها الطيبة مع جميع الفرقاء السياسيين تشفع لها في الملمات. وحتى حين ارتدت الحجاب لم أشأ أن أسألها عن ذلك فقد فهمت أن في هذا الاختيار الشخصي البحت بعض الحرص ربما على عدم الاصطدام مع مناخ عام بات مهيمنا في البلاد.

شجاعة أطوار وجرأتها تجعلني أتخيلها في ساعتها الأخيرة تجادل خاطفيها وتفحمهم لكن رهط من تعاملت معهم كان على الأرجح من أولئك الذين أقفلوا دماغهم بمفتاح ثم رموا به في دجلة أو الفرات لذلك لم يرعوا قليلاً أو كثيرا بل وقد تكون أغاظتهم أكثر في سجالها معهم كما يشهد على ذلك جسدها المثقوب برصاصات الجهل والحقد من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها.

بعد استشهادها بيومين جاءتني زميلة في غرفة الأخبار لتقول لي بأن أطوار تحدثت إليها قبل يوم من الفاجعة وأنها تبعث إلي بالسلام... الله يسلّمك يا أطوار وأنت بين يدي السلام نفسه.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 Fax: 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364